منطقة القبائل ودورها في التصدي للمخطط التنصيري الفرنسي خلال القرن 19م

The Kabylia Region and its Role in Countering the French Plan of Christianize during the 19th century

أ. هاجر بوزياني[1]، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، hadjer.bouzianie@univ-tlemcen.dz

أ.د مصطفى حجازي، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان(الجزائر)، hadjazi.histoire@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/07 تاريخ القبول: 2022/01/30 تاريخ النشر: 2022/02/15

الملخص:

يبرز هذا المقال دور منطقة القبائل في التصدي لأخطر المشاريع الفرنسية الرامية إلى تنصير أهل المنطقة مستغلين في ذلك الخصوصيات العرقية واللغوية والعوامل الدينية والجغرافية والتاريخية والاقتصادية التي انفردت بها منطقة القبائل ليجعلوا منها منطقة لتجارب نموذجية في السياسة التعليمية وسياسة التنصير أو التبشير والتي لم تلقى نجاحا. ويعود ذلك إلى جملة من العوامل التي تظافرت لتجسيد الصمود الديني والفكري والانتماء إلى الأبعاد الحقيقة للهوية الوطنية ؛ ومن أبرز هذه العوامل الحصانة الدينية والقوة المعنوية والوطنية الصادقة لأهل المنطقة.

كلمات مفتاحية: منطقة القبائل؛ المخطط التنصيري؛ المؤسسات الدينية؛ المشاريع الفرنسية.

Abstract:

This article highlights the role of the Kabylia region in addressing the most serious French projects to Christianize the people of the region, using ethnic and linguistic particularities and religious, geographic, historical, and economic factors attributed to Kabylia to make it a region of experiences that have not been successful.

This was due to religious immunity and the sincere moral and national power of the people of the region.

Keywords: kabylia; planning; religious institutions; French projects

[1] - هاجر بوزياني ، طالبة دكتورالية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، hadjer.bouzianie@univ-tlemcen.dz

1.مقدمة:

تندرج السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ضمن مشروع استعماري فرنسي هدام حاول إلغاء الوجود التاريخي للشعب الجزائري و النيل من حصانته الحضارية تحددت معالمه المستهدفة تقسيم وتصنيف سكان الجزائر إلى بربر وعرب لفرض الوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر أولا والتخطيط الاستراتيجي طويل الأمد لتكوين كيانات محلية، أي خلق التوجه الطائفي في حالة انتهاء السيادة الفرنسية.

انطلاقا من هذه المعطيات والقناعات تميزت السياسة الاستعمارية الفرنسية بمنطقة القبائل بكونها هدامة جندت لذلك مختلف معاول الهدم لتكريس الهيمنة الفرنسية بكامل معانيها، لذلك نجد أن السلطات الاستعمارية الفرنسية عمدت منذ أن وطأت أقدامها أرض الوطن إلى ضرب المعالم الإسلامية خاصة بمنطقة القبائل مستغلين في ذلك الخصوصيات العرقية، اللغوية والعوامل الدينية، الجغرافية، التاريخية والاقتصادية التي انفردت بها منطقة القبائل مسخرين كل ما في وسعهم من طاقات تنصيرية دينية ومعارف علمية وتطبيقات مختلفة أملا في إنجاح برنامجهم التنصيري الذي على الرغم من كل المجهودات التي بذلها أنصاره من سياسيين ورجال الدين ومفكرين وعسكريين، ظل أهل القبائل غير قابلين للتنصير متمسكين بالدين الإسلامي وبقيمه ومبادئه السمحة بفضل حصانة المنطقة الحضارية وبوجود علماء أعلام ومصلحين أخيار ووطنيين نزهاء الذين وقفوا ضد هذا المشروع التنصيري مستعدين لبذل النفس والنفيس من أجل الحفاظ على الإسلام ومن الذّود على أراضيه ونشر ثقافته الثرية والمتنوعة حتى وهم تحت وطأة الاستعمار.

ففيما يبرز إذن دور منطقة القبائل في مواجهة المشروع التنصيري الفرنسي؟ وما هي الاستراتيجية المعتمدة التي حالت دون انتشار هذا المشروع بمنطقة القبائل خلال الحقبة الاستعمارية؟.

1. **التعريف بمنطقة القبائل:**

من التسميات التي ألحقت ببلاد القبائل" الزواوة" التي ذكرها ابن خلدون في قوله:" فأما زواوة من بطونهم(البربر) وقد يقال بأن زواوة من بطون كتامة... ومواطن زواوة بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة، استوطنوا منها جبالا شاهقة متوعرة تنذعر منها الأبصار... وجبلهم ما بين بجاية وتدلس".[1]

ومازال سكان الغرب الجزائري يستعملون مصطلح" زواوة"، وهي عين الصواب كما أن الذاكرة الشعبية في منطقة القبائل تحتفظ بكلمة زواوة عند الأرجاء والأشعار والأغاني التراثية[2] كما دأبت المصادر التاريخية العربية في ذكر علماء المنطقة بإضافة تسمية الزواوي إلى أسمائهم وقد استمر الوضع على هذا الحال إلى القرن العشرون. [3]

اشتقت كلمة زواوة من كلمة أقاو جمعها إقاواون الدالة على مجموعة الأعراش(القبائل) التي تقطن شمال جبال جرجرة(آت عيسى، آت بطرون، آت إيراثن، آت منقلات، آت إيتسوغا) ونظرا لحيوية هؤلاء السكان الذين اشتهروا بالتجارة وصناعة الحلي والعملة التقليدية وجهودهم العلمية فقط أطلق المؤرخون اسمهم على الأقاليم الجغرافية المحيطة بهم بعد أن عدلوه عند كتابته باللغة العربية فصار يكتب ويرسم الزواوة.[4]

تقع بلاد زواوة شرق العاصمة الجزائرية وتشمل مجمل أراضي ولايتي بجاية وتيزي وزو والجزء الشرقي من ولاية بومرداس والأجزاء الشمالية لولاية البويرة، سطيف، برج بوعريريج، أي تتكون من ستة ولايات إدارية في المجموع، مجمل أراضيها جبلية فقيرة، عمرها سكان محليون وعناصر أخرى وافدة من أعماق الجزائر وخارجها خاصة من المغرب الأقصى وموريتانيا والأندلس بحثا عن الاستقرار، هروبا من جحيم الحروب، خاصة بعد سقوط الأندلس ووقوع بجاية في قبضة

الاحتلال الإسباني في حدود 1510م،فانتقلت ثقافة المدنية إلى الجبال ولعل هذا السبب هو العامل المساعد في انتشار هذا العلم وكثافة الزوايا بجبال زواوة.[5]

كانت بلاد زواوة في الماضي أحد منارات العلم والمعرفة في الجزائر، لاعتبارات جغرافية وسياسية واجتماعية، فهي من جهة ذات موقع جغرافي ممتاز، على ساحل البحر جعلها تنفتح على العالم الخارجي ومن جهة أخرى اتخذها الحماديون مستقرا لهم بعد مغادرتهم لقلعة بني حماد سنة 1067- 1068م، وجعلوا مدينة بجاية عاصمة لهم وأدى ذلك إلى ارتفاع وتيرة النشاط العلمي بها، بفضل تواصل أهاليها بمنابعهم المعرفية في المشرق والمغرب العربيين ولقدوم العلماء إليها من كل حدب وصوب، ورغم سقوط الدولة الحمادية فقط احتفظت المدينة بمكانتها المرموقة ازدهارها ظلت قبلة للعلماء والرحالة والصوفية، وربط أهلها الصلاة العلمية بالشام ومصر، الحجاز، تونس، المغرب، أدى ذلك إلى انتشار مدارس عديدة، تخرج منها علماء كثيرون، لم تستوعبهم المدينة، لذا توجه بعضهم نحو المناطق الداخلية فأسسوا فيها زواياهم التعليمية فقامت بتعميم القراءة والكتابة ونشر العلوم الشرعية بالدرجة الأولى في أعماق الجبال، ويمكن أن نضيف إلى العوامل المذكورة دور مسلمي الأندلس النازحين إلى المنطقة وهو دور لا يستهان به في دفع عجلة المعرفة إلى الأمام، كل ذلك ساعد على ظهور المكتبات الخاصة لدى العائلات المتعلمة التي مارست مهنة التعليم والقضاء والتوثيق.[6]

2. المشاريع التنصيرية الفرنسية بمنطقة القبائل:

بدأت الجهود التنصيرية الفرنسية رسميا في الجزائر بتأسيس أسقفية الجزائر سنة 1838م، وتعيين القس أنطوان أدولف ديبوش على رأسها[7]، وقد كان تركيزه في عملية التنصير داخل الجزائر على منطقة القبائل بالدرجة الأولى وهذا راجع إلى خبرته الطويلة القائمة على احتكاكه بالمجتمع الجزائري ومعرفة نقاط ضعفه وقوته[8]. لذلك عمل على تكثيف نشاط الإرساليات التنصيرية المسيحية إلى منطقة القبائل بالدرجة الأولى معتمدا على عدة أساليب من ربط أهل المنطقة بالمسيحية القديمة، فكان الواحد منهم يقدم 20 فرنكا فرنسيا كل أسبوع لكل قبائلي يأتي لسماع ما يقال من كلمات الإنجيل في الكنيسة، ويمنح كل شخص يقبل التعميد مبلغا ماليا قدره 50 فرنكا فرنسيا، كما كان القس ديبوش (Dupuch) يخصص يوم الاثنين والخميس لتقديم الخبز إلى الفقراء والمحتاجين أمام باب الأسقفية، بالإضافة إلى جمع أكبر عدد من الأطفال المتشردين في الشوارع والعناية بهم وتنصيرهم[9]، كما ركز بشكل كبير على الجانب الصحي وبالتحديد المستشفيات وكانت أوامره إلى المنصرين تنص على الاعتناء بالتمريض لأنه عامل مهم في استمالة المريض وتحبيبه للمسيحية واستمالته لها خاصة بالنسبة للراهبات الممرضات، التي كان ديبوش ينظر إليهن أنهن أقرب إلى المريض في إيصال المسيحية من الرجال.[10]

استمرت المساعي التنصيرية لمنطقة القبائل بعد تعيين الراهب بافي (Bavy)، كثاني رئيس لأسقفية الجزائر ما بين 1846-1866 الذي كان متعصبا للمسيحية ومن رجال الدين المؤمنين بضرورة إرجاع الجزائر وسكانها إلى حضيرة المسيحية بعد القضاء التام على الإسلام، لذلك عمل على معاشرة سكان المنطقة والتحدث معهم حول القرآن الكريم والإنجيل ويراسلهم بأسلوب ديني مملوء بالعاطفة كما يعمل على خلق علاقات مع بعض أئمة المنطقة.[11]

كانت منطقة القبائل ضمن مشاريع بافي (Bavy) والتي ركز عليها من سابقه القس ديبوش معتبرا البربري أكثر ميولا للفرنسيين والمسيحية، وقد استطاع هذا الأخير من رفع عدد الكنائس إلى 172 كنيسة، أما الرهبان فقد بلغ عددهم بالجزائر على عهده إلى 259 راهب و 800 أخت كذلك رفع عدد دور الأيتام والملاجئ التي وصلت إلى 300دار.[12]

بعد الاحتلال العسكري لمنطقة القبائل سنة 1857م على يد الجنرال راندون (Randon) أقام الراهب بافي (Bavy) حفلا دينيا كبيرا بالمنطقة عين فيه أحد كبار أعوانه الأب اليسوعي جان باتيست كروزا[13] Crusat إلى منطقة القبائل

كمرشد ديني بتاريخ 20 أكتوبر 1863م[14] والذي أدرك مسبقا أن أهم وسيلة للاتصال بسكان المنطقة هي اللهجة القبائلية لذلك حرص على تعلمها في وقت وجيز لاستعمالها في نشاطه، فضلا على ترجمة الإنجيل إلى القبائلية تحت عنوان دفتر الاناجيل، كما زار سبعين قرية للتعرف على المجتمع القبائلي وسكانه عله يكسب رضاهم عبر توزيع الملابس والسكر والقهوة وتقديم الإرشادات الدينية وفتح مدرسة كملجأ للأيتام جمع فيها حوالي عشرين طفلا وإنشاء كنيسة بعين الحمام.[15]

عمل الأب كروزا على نشر تعاليم الديانة المسيحية ومزاياها، انطلاقا من قرية بني فراح لكن أهل القرية قابلوا مساعيه بالسخرية والرفض، مما اضطره إلى الانسحاب إلى قرية بني يني لكن أهل القرية رفضوا أعماله وحذر شيخ القرية من عواقب نشاطه قائلا ان البلاد لن تعرف هدوء إذا جاءها رجال الدنين.[16]

بنهاية مرحلة القس بافي (Bavy) على رأس الأسقفية، ستشهد المشاريع التنصيرية دفعا قويا كان وراءه الراهب الكاردينال لافيجري[17] الذي جعل منها شغله الشاغل وعمل على خلق ثغرات طائفية تتمكن السلطة الفرنسية من تسخيرها في الجزائر[18]، وذلك من خلال تصريحاته الرامية إلى وجود عرقان بالجزائر البربر أو القبائل وهم السكان الأصليون وهناك العرب وهم الشعب الغازي مضيفا أن منذ التحاقهم بالجزائر لاحظوا ان القبائل يكرهون العرب الذين يسيطرون عليهم بالقوة.[19] وأعقب كلامه بوصف المجتمع القبائلي حتى يفصله ويميزه عن المجتمع العربي قائلا: "إنه مجتمع مثابر، بسيط شجاع، مستثنى من التعصب للدين قط، سلط عليه بالقوة، انفصل عن العرب من جراء امتعاض المضطهد والمضطهد، لم يخضع لقوانين الأتراك حافظ على التقاليد المسيحية كإشارة الصليب[20] وفي قوانينه المسيرة لحياته المدنية إن القبائل مقدور عليهم التحالف معنا والرجوع إلى مصاف حضارتنا"[21]، كما أنه ذهب إلى الاعتقاد بالأصول المسيحية لأهالي منطقة القبائل وليس هناك أفضل من الرجوع إلى ديانتهم الصحيحة كما ادعى، وأن الدم الذي يسري في عروقهم هو نفس دم الفرنسيين لأن أصلهم روماني مسيحي لذلك عمل على تطبيق مشروعه المتمثل في هداية سكان منطقة القبائل إلى الدين المسيحي.[22]

سخر لافيجري كل الإمكانيات والوسائل لإنجاح مشروعه التنصيري بمنطقة القبائل وعليه اعتمد على برنامج خاص يضبط به عمل رجال الدين المسيحيين وهو كالآتي:

- التنصير الجماعي لا الفردي؛
- التظاهر بمظهر التدين لدى المبشرين لكسب الاحترام؛
- التمسك بالصبر والتسامح وتقبل الشتم؛
- استمالة السكان بواسطة الأعمال الخيرية؛
- التطبيب، التعليم خاصة القرى البعيدة؛
- التكفل بالفقراء؛
- التواضع والتغلغل وسط السكان؛
- عدم التعرض للدين المسيحي لأن ذلك يفشل المساعي التنصيرية.[23]

اعتمد رجال الدين المسيحيين وقف تعاليم الكاردينال لافيجري على عدة طرق وأساليب لتنصير منطقة القبائل من تقديم للخدمات الخيرية والتطبيب والتعليم باسم الديانة المسيحية وقد أظهروا نشاطا فائقا في هذه الميادين بعدما انتشروا في العديد من القرى والمداشر من منطقة جرجرة وهدفهم الأساسي هو إخراج أهلها من الدين الإسلامي والعربية

وهذا ما عاهدوا عليه لافيجري منذ 1872م، وعليه كانت أشهر الوسائل التي اعتمدوا عليها بناء على تعليمات لافيجري هي:

- **تقديم المساعدات الخيرية**: رأى المبشرون أن العمل الخيري هو السلاح الذي بواسطته يمكنهم الدخول إلى قلوب الناس ليتركوا فيها آثارا دائمة هذا ما أكد عليه لافيجري حيث أوصى مبشريه بضرورة الحرص على استخدام العمل الخيري لما له من تأثير في تقريب السكان إليهم فكان يقول دائما: "ساعدوا الفقراء جميعا، وعالجوا جراحهم وداووا مرضاهم، إنكم بذلك تشرفون عقيدتهم وتخدمون فرنسا المسيحية".[24]

إن الأعمال الخيرية التي استخدمها رجال الدين كثيرة ومتنوعة وتتجه في أغلب الأحيان للفقراء والمحتاجين لإدراكهم بأن هذه الفئة هم الأكثر سهولة للوقوع في مخالب أعمالهم التنصيرية، لذلك عملوا على ربح قلوب السكان وثقتهم بالإحسان وفعل الخير.[25]

- **تقديم الخدمات الطبية المجانية**: يعتبر التطبيب في العمل التنصيري أكثر شمولا من الوسائل الأخرى، وأبلغ أثرا لأنه موجه للصغار والكبار على حد سواء، والملاحظ على التطبيب الذي مارسه الرهبان في الجزائر أنه كان يتم وفق طرق متنوعة، كاستقدام الأهالي إلى المستشفيات أو علاج المرضى في منازلهم والذي كان أكثر فاعلية كونه يسهل من احتكاك المنصرين بالسكان مما سمح لهم بالاطلاع على أحوالهم المعيشية.[26]
- **اعتماد التعليم كوسيلة للتنصير**: تنبه لافيجري إلى أهمية التعليم في ميدان التنصير فاهتموا به اهتماما كبيرا وقد كان رجال الدين المسيحيين أينما حلوا يتوجهون في دعوتهم إلى النصرانية نحو الأطفال لسهولة التأثير عليهم وغرس فيهم مبادئ النصرانية[27] وقد استعمل الآباء البيض عدة أساليب لإغراء الأطفال بالقدوم إلى مدارسهم والتأثير على أوليائهم كي لا يمانعوا من إرسال أبنائهم بالإضافة إلى هذه الأساليب تقديم النقود[28] وكذا تقديم الحلوى للأطفال وإغرائهم بالألعاب الموضوعة في فناء المدارس وكذا إقامة الحفلات المدرسية والاعياد الدينية المسيحية والمعارض فضلا عن الطعام للأطفال الذين يقيمون بعيدا وحتى الإقامة المجانية[29]، ولتحقيق مطمعهم التنصيري لسكان جبال جرجرة المسلمين قررت فرض إجبارية التعليم في كل قرية من قراها.[30]

3. فشل المساعي التنصيرية لمنطقة القبائل:

كانت منطقة القبائل على مر التاريخ مركز إشعاع للعلم والمعرفة، ومنبعا للعلوم الإسلامية ويرجع ذلك إلى ازدهار الحضارة بشمال إفريقيا عموما وفي منطقة القبائل خصوصا على أيدي العديد من العلماء مثال الشيخ عبد الرحمان البلولي صاحب الزاوية المشهورة في المنطقة قديما والشيخ أحمد أو مالك سيدي منصور صاحب الزاوية المعروفة بناحية آيت جناد" جرجرة" [31] وغيرهم ممن اهتموا بإقامة الشعائر الدينية والحفاظ على العقيدة الإسلامية بالدفاع عنها وبناء المساجد والزوايا وفي تحبيس الأحباس التي تخدم هذه الأغراض، وفي دراسة التاريخ الإسلامي وبنوا لذلك الكتاتيب وغيرها من المؤسسات الدينية والتعليمة، وركزوا في تعليمهم على القرآن الكريم حفظا وتفسيرا، وتخرج على أيديهم طلبة كثيرون من سكان المنطقة وغيرهم من الطلبة الوافدين إليها من المناطق الأخرى طلبا للعلم، وإلى هؤلاء جميعا يعود الفضل في إعلاء شأن الإسلام وحفظه في ربوع هذه المنطقة وبهذا عرفت المنطقة حياة دينية ثقافية خصبة كانت على الدوام الحصن الحصين للثقافة الإسلامية في الجزائر. [32]

كما كان للزوايا بمنطقة القبائل دورا بارزا في الناحية الدينية، التعليمية والسياسية، وقد كانت على الدوام الحصن الحصين أمام سياسة المسخ والتشويه للثقافة الوطنية، أما الاستعمار الفرنسي عندما تبين له أن أعماله كادت أن تكون فاشلة بسبب المقاومة العنيفة التي أبداها رؤساء الزوايا من خلال الثورات العديدة التي عرفتها الجزائر عبر التاريخ، بدءا بثورة الأمير عبد القادر والمقراني والشيخ الحداد إلى ثورة نوفمبر 1954.

ويمكن القول أنه إذا ما تمكن هؤلاء المبشرون من استغلال سذاجة بعض الناس، وذلك لم يكن إلا في بعض القرى التي تعد على الأصابع، مستغلين الظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة لهم وذلك بإقبالهم على التعليم وعلى المراكز الصحية للمعالجة والهدايا التي كانت تمنح لهم من طرف المبشرين فإنهم لم يستطيعوا أن يكسبوهم دينيا وبالصورة التي كانوا يتوقعونها من قبل. [33]

إن المحاولات التنصيرية لمنطقة القبائل باءت بالفشل وذلك لسبب رئيسي هو التمسك بالدين الإسلامي، ورغم تفنن المبشرين في أساليب التنصير والفرنسة فإنهم لم يحققوا أي نجاح في مجال تغيير الشخصية الوطنية، لأن تمسكهم بالعقيدة الإسلامية وبالقرآن كان أكبر محصن ضد سياسة المسح والتشويه والفرنسة، وقد اعترف رجال الكنيسة أنفسهم بهذه المقاومة المعنوية والحصانة الدينية التي كان يتمتع بها سكان الريف وقد عبر لافيجري عن مرارة خيبته لعمله التنصيري وللنتيجة التي آل إليها بعد جهاد طويل دام 40 سنة. [34]

ومما يدل على الفشل، ما ذكره الدكتور غوستاف لوبون في كتابة(روح السياسة) حيث ذكر واقعة تدل على قوة الإسلام في إفشال خط دعاة التنصير، وهي أن الكاردينال لافيجري قد جمع 4 آلاف يتيم قام بترتيبهم تربية مسيحية ولكن معظمهم رجع إلى الإسلام بعد أن بلغوا سن الرشد. [35]وقد صرح هو بنفسه عندما اتضح له فشل هذه السياسة بقوله:" إننا خسرنا في منطقة القبائل ما حققناه في لبنان" . [36]

إن ادراك السكان لأبعاد السياسة التنصيرية أدى إلى معرفة الخطر الذي يهدد ديانتهم وعليه يمكن القول بأن هذا كان أحد العوامل الهامة التي ساعدت على قيام ثورة المقراني 1871 بجبال جرجرة ودفع بالأهالي للالتفاف حول الطريقة الرحمانية. [37]

وقد اعترف رجال التنصير أنفسهم بحقيقة الأمر الواقع ذلك أن سكان منطقة القبائل أبدوا إقبالا على كل الحضارات فإنهم من ناحية أخرى لم يكونوا ليغيروا من عقيدتهم. [38]

لئن تمكن رجال التنصير الفرنسيين النفاذ إلى الوسط الاجتماعي وبالأخص في منطقة القبائل سعيا إلى نبذ اللغة العربية والدين الإسلامي، وتعويضها باللغة الفرنسية والديانة المسيحية وإبقاء المنتصرين اهالي قدر الإمكان حتى يتمكنوا من أن يحدثوا نوعا من التأثير في محيطهم . [39]

إلا أنهم اصطدموا بالإيمان المتأصل في نفوس سكان المنطقة ، فرغم إعجابهم بالمبشرين في مجال الخدمات التي تفانوا في تقديمها إلا أن هذا الإعجاب كثيرا ما كان يقابل بالحسرة والتأسف لكونهم نصارى وليسوا مسلمين ويعتقدون أنه لولا نصرانيتهم أو على الأقل لو نطقوا بالشهادة لكان جزائهم الجنة عند الله سبحانه وتعالى. [40]

وقد أثارت عملية التعميد التي قام بها لافيجري في حق أطفال المجاعة قبل الاحتضار أثار خوف الكثير من عائلات الأطفال فطلبت استرجاع ابنائها، ففر من تمكن من المراهقين عندما ادركوا هذه الحقيقة، فلم يبق من مجموع 1753 طفل سوى 378 طفل منهم 242 بنت حاول أن يجعل منهم باكورة نشاطه التبشيري بالجزائر . [41]

كما اعترف رجال الدين المنصرين انفسهم أن اهتمام الأهالي بإرسال ابنائهم إلى المدارس التي أسست بغية تنصيرهم، كان اهتماما ضعيفا هو لا يوازي الأهمية البالغة التي يوليها المنصرين في كامل الجزائر وبالأخص في منطقة

جرجرة حيث يفضل السكان تعليم أبنائهم كيفية أداء الصلوات الإسلامية وحفظ القرآن الكريم وكثيرا ماكان الأولياء يتشاءمون من أحاديث المبشرين للتلاميذ عندما تتنافى مع تعاليم العقيدة الإسلامية. [42]

أما المتنصرين فإن الكثير منهم عاش تعسفا ومحتقرا ومنبوذا فهم يحملون أسماء جوزيف بن عبد الله وزوبير بن محند وفرنسوا بن موسي وصاروا لا يكلمونهم ولا يصاهرونهم ولا يحترمهم أحد وحتى إذا تابوا وعادوا إلى رشدهم كان عليهم أن يختاروا أحد اثنين: أما أن يكفروا عن ماضيهم أو يغادروا القرية تماما وقد ذهب السكان إلى أبعد من ذلك فاعتبروا كل من يقترب من المتنصرين من القرية غريبا عن عاداتهم وتقاليدهم وأكثر من ذلك فرض الأهالي حرصا قويا على طرد كل من يسمح لأبنائه بالتوجه إلى مدارس المبشرين من مجلس القرية" تاجمعت" وحرمانه من الحقوق التي يتمتع بها . [43]

كما يعتبر المنتصر متجنسا في نظر السكان وإنسانا مارقا في الدين وينفرون منه نفورا كبيرا وقد وقعت حوادث كثيرة وخطيرة في منطقة القبائل حول هذه المسائلة حيث إمتنع الطلبة عن قراءة القرآن والقيام بصلاة الجنازة على الأموات المتجنسين وأن ما يمكن التأكيد عليه أن أغلب من تنصر بواسطة المنظمات والجمعيات التي تهدف إلى التنصير هم من طائفة الضعفاء والفقراء والأيتام ولو أبقى لنا الاستعمار الفرنسي منظماتنا الإسلامية ومشاريعنا الخيرية كبيت المال والأوقاف الخاصة والعامة ومشروع سل الخيرات وصندوق التبرعات والصدقات لما وجدوا لصوص العقيدة هؤلاء منفذا يتوصلون به لخداع العامة أو يقتربون منه. [44]

1.4. دور المؤسسات الدينية في التصدي للمخططات التنصيرية الفرنسية:

أدت المؤسسات الدينية بمختلف أنواعها دورا بارزا في جميع المجالات الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية، وقد أدت هذه المؤسسات القرآنية في منطقة القبائل خدمات جليلة لنشر الدين والتعليم على أوسع نطاق وفي ظروف صعبة جدا. [45]

- **الزوايا:**

تسمى الزاوية باللسان الأمازيغي (تيمعمرت) وهي عبارة عن مؤسسة تربوية تعليمية تؤدي أدوارا تعليمية اجتماعية وسياسية، أسسها علماء وأولياء جمعية السكان الذين تبرعوا بالأرض وأوقفوا حصصا من عقارهم لخدمة الزاوية، علما أن معظم هؤلاء المؤسسين هم عناصر طارئة على المنطقة. قدم بعضهم من مدينة بجاية خاصة بعد احتلالها من الإسبان مطلع القرن 16م مما دفع العلماء إلى الهروب نحو المناطق الداخلية وعمق القبائل. فأسسوا زوايا ومدارس، تزامنا مع توافد الأندلسيين فكانوا فخرا للزوايا بصفة خاصة وللتعليم بصفة عامة[46] ، قام على هذه الزوايا علماء أفذاذ اعتبروا من مشاهير علماء منطقة القبائل والذين أدلوا بدلوهم في ميدان محاربة ومواجهة النشاط التبشيري بالمنطقة نذكر منهم: محمد بن معطي الزواوي- محمد بن محمد ابي القاسم- الفضل المشدالي- عيسى بن أحمد البجائي- عيسى أبو الروح ابن مسعود المنجلاني- عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي البجائي- صالح بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم المغربي الوغليسي- محمد بن علي الشريف اليلولي . [47]

و إذا عرجنا للحديث عن أبرز الزوايا التي أدت دورا رياديا في حركة الأحياء الديني والمجابهة الثقافية فإننا نذكر على سبيل المثال: زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي(ايلولة) -زاوية شرفة الهلولي (آيت غوبري عزازقة) - زاوية سيدي محمد بن مالك(آت ايجر، ثيقريت نات أومالك)- زاوية سيدي أحمد بن ادريس (ايلولة أومالو) - زاوية سيدي محفوظ(بليسطرو الأخضرية)- زاوية آيت منصور(آيت اتصوراغ) [48] زاوية سيدي أحمد أوزروق(سيدي عيش)- زاوية سيدي (تافاعست) أما الضفة اليسرى لوادي الصومام فإن هناك عدد لابأس به من زوايا الفقه والعلم تضاف إلى ما ذكر سابقا

منها: زاوية سيدي موسى أودير (أكفادور)- زاوية سيدي موسى ثبنذار وسيدي محمد أوزروق(بني وغليس)- زاوية سيدي أحمد أو سعيد(اغرز أمقران)، زاوية سيدي أحمد أو عبد الرحمان(تاقرايت) زاوية سيدي بوجليل(أقبو) وغيرها وغيرها كثير. [49]

ترجع الأسباب التاريخية التي أهلت الزاوية للقيام بهذه المهام إلى كون الزاوية تمثل مركزا دينيا متكاملا تنبثق منه التوجيهات العامة المنظمة للحياة الدنيوية للمواطن مما جعل ثقة هذا الأخير تقوى وتتسع تجاه الزاوية، إضافة إلى كون الزاوية حصلت على إمكانيات مادية هامة تمثلت في الأملاك المتنوعة والهبات والصدقات التي يقدمها السكان الذين ينتظرون الكثير من الزوايا وشيوخها سواء أتعلق ذلك بحياتهم الدنيوية أو في الآخرة، ويمكن تفسير هذه الظاهرة بالحالة الدينية السائدة في البلاد، اضف الى هذا كله الوضعية الاقتصادية المزرية السائدة في هذه المنطقة آنذاك مما جعل الزاوية مقصدا لكل المحتاجين الذين نكبتهم ظروف الحياة العامة حيث سدت عليهم طريق المعيشة وفرض عليهم العيش في وضعية تعذر فيها توفير الأمن والاستقرار. [50]

- **المدارس:**

من المعروف أن المدرسة قد لعبت دورا كبيرا وفعالا في بعث النهضة وروح الوطنية في الأمة وحفظها من الذوبان، ومن الجهل والانحلال، فهي كما يقول الشيخ الإبراهيمي:" جنة الدنيا والسجن نارها، والأمة التي لا تبني المدارس تبنى لها السجون، والأمة التي لا تصنع الحياة يضع لها الموت، والأمة التي لا تعمل لنفسها ما ينفعها ويسعدها يعمل لها غيرها ما يضرها ويشقيها" . [51]

أسس المصلحون الأوائل مدارس إصلاحية في كل المدن والقرى إدراكا منهم بدور المدرسة في بعث النهضة وإيقاظ الأمة، وحفظ اللغة والثقافة والدين من مكائد الاستعمار والمبشرين، وقد برز دور جمعية العلماء في هذا النشاط وازدهرت الحركة الإصلاحية في منطقة القبائل ناحية بعد أخرى، وقد بلغ عدد مدارس جمعية العلماء عام 1943 حوالي 140 مدرسة، تغطي معظم مدن القطر وقراه. ذكر الإبراهيمي في تقريره السنوي المقدم إلى اجتماع الجمعية أن عدد مدارس الجمعية يبلغ 125 باستثناء المدارس التي تم تعطيلها اداريا من طرف الادارة الاستعمارية وهي تشمل 300 فصل دراسي يدرس فيه حوالي 32686 تلميذ وتلميذة وفي هذا الجو وبإلحاح من رجال الإصلاح أعضاء جمعية العلماء تم تأسيس الكثير من المدارس في منطقة القبائل، أهمها: مدرسة بجاية- مدرية دلس 1931- مسجد برج أم نائل الاصلاحي 1932- مدرسة الشبيبة الاسلامية تيزي وزو 1942 إلى غير ذلك من المدارس الإصلاحية وعددها كبير. [52]

- **المساجد:**

تعتبر المساجد من المؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية الهامة التي عملت على حفظ الشخصية الوطنية من التفسخ والذوبان فقد عمت أرجاء البلاد ولا تكاد تخلو منه قرية من قراها، فقد كان مركزا للعبادة يجتمع فيه الناس لأداء فريضة الصلاة جماعة والاستماع إلى الإرشاد والوعظ يضاف إلى ذلك دورها الطلائعي في غرس المبادئ الأساسية في نفوس الأطفال، والواقع أن وظيفة المساجد في ميدان التعليم قد اختلطت وظيفة الزاوية والمدرسة أحيانا، فقد كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في تفسير التعليم بجميع أنواعه وكانت بعض الزوايا عبارة عن مدارس كما كانت مساكن للطلبة الذين يدرسون في المدارس والمساجد وكانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد لأنه كثير ما كانت تشيد زاوية وجامع ومدرسة في نفس الوقت، لأنه من الصعب تمييز الوظائف التي تؤديها هذه المؤسسات مجتمعة في مجتمع يقوم فيه التعليم قبل كل شيء على الدين وتلعب فيه المساجد والزوايا الدور الرئيسي. [53]

2.4. دور العلماء والفقهاء في عملية الإصلاح:

اشتهرت منطقة القبائل بوجود مجموعة من العلماء ممن ساعدتهم مواهبهم أن يكونوا فقهاء وعلماء في العلوم العقلية أمثال: محمد بن معطي الزاوي وكذلك محمد بم محمد المنجلاني، عبد الرحمان بن أحمد البجاي، عيسى أبو الروع بن مسعود المنجلاني، عبد الرحمان بن أحمد الوغليسي البجائي، صالح بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم المغربي الوغليسي، الحاج أحمد المهيدي الكلاوي البراثيني، محمد بن علي الشريف اليلولي... .

ولعل من أشهر العلماء الذين يعتبروا من أبرز الفقهاء رجال الثقافة العربية الإسلامية، وركن من أكان الدعوة الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر الشيخ أبو القاسم البوجليلي[54] والذي انتصب لنشر العلم وكانت قرية بوجليل في هذه الفترة منارة للإشعاع الروحي والثقافي، أسس مسجدا ومدرسة ينفق عليها الشيخ بما قدمه بعض فضلاء القرية ومريدوه من مختلف المناطق ومن التبرعات والهبات وليس هذا فحسب فقرية بوجليلي في هذا الصدد محكمة للتقاضي يقصدها المتقاضون من أبعد المناطق راضيين بحكم الشيخ فيصلح بينهم ويزيل المحن والأحقاد من قلوبهم بما أنزل الله تعالى. [55]

ادراكا من رجالات التنصير بخطورة الشيخ ودعوته أسسوا مركزين ضخمين قرب قريته وجندوا فيلقا من الرهبان والراهبات يزورون القرى، ويتسللون إلى الديار يتحدثون عن المسيح عليه السلام، ويتصيدون الفقراء والضعفاء بما يوزعون من هبات ودواء ولكن كانوا يصيحون في واد مما جعل منصرا بريطانيا يقول لأحد أصدقائه في مرارة:" رباه كم نقاسي من هذه الصخرة الصلبة التي يسمونها عجوز بوجليل" كما شيدت السلطات الفرنسية مدرسة فرنسية في أوائل الثمانينات في قرية الشيخ لمقاومة تأثيره. [56]

ومن رجالات الإصلاح بالمنطقة محمد السعيد بن زكري[57] الذي يعتبر من المشايخ الذين تكونت عن أيديهم النخبة وكان اماما في علم التوحيد والفقه على مذهب مالك بن أنس مشاركا مع ذلك في علم المنطق على رأي الأقدمين، عكف طول حياته على التعليم والإرشاد وقام بالإفتاء والخطابة، ونتيجة لتجارب ابن زكري الطويلة في ميدان التعليم وقصد ادخال اصلاحات في البرامج التعليمية للمؤسسات التقليدية أما برنامجه الإصلاحي فيكمن إجماله في النقاط التالية:

- تخصيص دفاتر لتسجيل دخول وخروج الطلبة.
- تخصيص دفتر خاص بالمالية.
- ادخال الكتب المدرسة الى الزاوية كوسيلة تربوية من وسائل التعليم.
- اصلاح البرامج بإدراج مادة التاريخ يحصى فيها تاريخ الدولة الفرنسية بعناية خاصة.
- إخضاع تعيين المدرسيين لرقابة الإدارة الفرنسية على أن تحتفظ هذه الأخيرة بملفاتهم.
- ترك أجرة المدرس على عاداتها القديمة أي تؤخذ من الوقف مع دفع بعضها تمنا وبعضها عينا وتكون نفقته اليومية على عاتقها الزاوية.
- تحديد مجال الدراسة بمدة زمنية لتشجيع النجاعة- الفصل بين طلبة العلم وبين الإخوان المريدين الذين يقصدون الزوايا للعبادة فقط. [58]

ومن الدعائم الأخرى التي قام عليها هيكل الإصلاح بمنطقة القبائل الشيخ السعيد أبو يعلي الزواوي[59] كان قوي الإيمان، ثابت الجنان، صريح الرأي، حر الضمير، صادق اللهجة، قوي الحجة، واسع الاطلاع على الشريعة وعلى الاستعلامات الصحيحة وشديد الغيرة على دينه ولغته وكانت خطبه نموذجا من الدعوة إلى الله والمحافظة على السنة والمقاومة الشديدة للبدع في أسلوب مؤثر ولغة شعبية واضحة، فكان اماما وخطيبا لعب دورا بارزا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ستنشأ فيما بعد، فكان يحرر في الصحف والمجلات ويلقي الدروس. [60]

وهكذا كانت منطقة القبائل طيلة هذه الفترة تزخر بنشاط ثقافي وحركية علمية تضم في كففها طائفة من الأفذاذ من رجال الفكر والأدب والثقافة، عملوا على الحفاظ على الذات ومقومات الأمة الجزائرية تثبيت الناس على دين الله.

5.الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكننا إبراز النتائج الآتية:

-عمدت سلطات الاحتلال الفرنسي إلى استخدام كافة الوسائل والطرق الممكنة لإنجاح مشروعها التنصيري بمنطقة القبائل الذي كان من بين أقطابه القس أنطوان أودولف ديبوش، والراهب بافي وأخترهم الكاردينال لافيجري ممن اهتموا بالغ الاهتمام بنجاح هذا المخطط التنصيري بالمنطقة حيث رافقت هذه الأهداف إجراءات ملموسة سعت إلى استمالة سكان المنطقة من خلال تقديم الخدمات الاجتماعية المجانية كالتعليم والتطبيب ومساعدة اليتامى والفقراء مستغلين في ذلك حالة العوز والفقر التي وصلت إليها الأسر القبائلية جراء السياسة الاستعمارية الفرنسية الاقتصادية والاجتماعية المطبقة بها.

-إن الآمال الاستعمارية الفرنسية المعقودة من خلال سياستها الدينية المطبقة في منطقة القبائل بقطبها الرئيسي لافيجري وجنوده الآباء والأخوات البيض ومن ورائه أسقفية الجزائر والبابوية في روما والسلطات الفرنسية فإنها لم تظفر بكبير وباءت كلها بالفشل الذريع وهذا راجع للدور الريادي الذي قامت به المؤسسات الدينية بمختلف انواعها من زوايا ومدارس ومساجد المنطقة المنتشرة بين القرى والأرياف التي مثلت عامل استقرار وتوازن ووقفت حصنا منيعا حال دون نجاح هذه المخططات التنصيرية مما يقودنا إلى البوح بأن فضل العلماء والمشايخ والفقهاء على سكان منطقة القبائل خلال هذه المرحلة كبير من خلال اسهاماتهم في الحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية وتثبيت أهل المنطقة على دين الله.

6.الهوامش (الإحالات):

[1] عبد الرحمان بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، دار الكتاب العلمية، لبنان، 2001، ص 104.

[2] أبو يعلى الزواوي، تاريخ زواوة، مراجعة وتعليق: سهيل خالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص 90.

[3] محمد ارزقي فراد، اطلالة على منطقة القبائل، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، ص ص 12-13.

[4] lacoste Djurdin Camile, Dictionnaire de la culture berbère en kabylie , ed la découverte, Paris, 2005, p.p. 23-24.

[5] أحمد الساحي، الزواوة من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر-عهد امارة كوكو، 1512- 1767، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، ص ص 17-19.

[6] Robine, "Notes sur l'organisation Militaire et administrative des turcs seux la grande kabylie" , R. A , Alger 1873, p.157.

[7] Cardinal Marcier, la revue catholique des idées et des faits, N°14, 24 juin1938, p.14.

[8] Julien (Charles Andrés), histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les buts de colonisation, PUF, Paris, 1964, p.31.

[9] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)، منشورات دحلب، الجزائر ، 2007، ص ص 50-51.

[10] مصطفى خالدي وعمر فروح، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986م، ص 64.

[11] خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 111.

[12] بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930 وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012، ص 38.

[13] الأب اليسوعي جان باتيست كروزا، مرشد ديني من أبرز رجال التنصير عينه الأسقف بافي مرشدا دينيا لبلاد القبائل منذ 20 أكتوبر 1863م، بدأ نشاطه التنصيري بمدينة معسكر، ترجم الإنجيل إلى القبائلية سنة 1868م، عمل جاهدا طيلة 5 سنوات على تنصير منطقة القبائل لكنه فشل، ليتم تعيينه مرشدا في جمعية مبشري إفريقيا. ينظر: خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص ص 143-147.

[14] Paul Lesourd, les pères blancs du cardinal Lavigerie, éditions Bernards Rousset, Paris, 1935, p.68.

[15] خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 143.

[16] مزيان سعيدي، النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1892، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1999، ص 94.

[17] هو شارل أنطوان مارسيل لافيجري من مواليد مدينة وير قرب جبال البيرني في 31 أكتوبر 1825م، تربى تربية دينية منذ صغره أدخله أبوه معهد الدعاية التبشيرية ثم المدرسة الإكلركية للدراسات الأسقفية ثم انتقل إلى المدرسة الإكلركية الكبرى في باريس 1843م، ومنها تخرج راهبا، وفي عام 1845م، دخل المعهد الإكلركي لعلم اللاهوة في باريس وفي 2 جوان1846م ارتقى إلى منصب قس وعين رئيسا لأسقفية الجزائر سنة 1867م، للمزيد ينظر:

G Reussen Mayer (M), vingt-cinq année d'épiscopats en France et en Algérie, document bibliographiques sur son éminence le cardinal Lavigerie, T1, libraire Adolphe Jourdan, Alger, 1838, p.12.

ينظر أيضا: مزيان سعيدي، النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري...، المرجع السابق، ص ص 31-48.

[18] - طويل حياة، التنصير في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي 1830-1962، مجلة قرطاس، جامعة تلمسان، العدد5، جوان 2017، ص ص 319-320.

[19] Edmon Renard, le cardinal Lavigerie, ed Spes, Paris, 1926, p.p. 129-231.

[20] يظهر من كلام لافيجري أنه كان متشبعا بكتابات الأب دوقا اليسوعي والدكتور وارني المعروفان بعدائهم الشديد للعرب من خلال كتاباتهم التي تدعي الأصول المسيحية لمنطقة القبائل مستشهدان بالوشم ذو الشكل الصليبي الموجود على جبهات ووجنات وأيادي النساء وعلى مداخل البيوت وهي دلائل لا أساس لها، فالوشم تستعمله النسوة في مختلف قرى الجزائر من أقصى الشمال إلى جنوبه دون قصد أو عرف ديني ويرمز عند البعض إلى حرية المرأة، وما هو إلا شكل من الأشكال الهندسية التي تزين بها الزرابي وسجادات أغلب أنجاء الجزائر وهو غير خاص بالجزائر فقط بل موجود في المشرق أيضا، ثم إذا كان رمزا دينيا فعليا لكان مستعملا عند كل المسيحيين الأوروبيين القدامى أنفسهم، للمزيد حول خرافية مسيحية منطقة القبائل ينظر: خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص140 .

[21] Lavigerie charles martial, texte des œuvres choisis, lib poussielgues, T1, paris, 1884, p.47.

[22] Emerit Marcel, le problème de la conversion des musulmans d'Algérie sous le second empire , le conflit entre Mac Mahon et Lavigerie, in Revue historique, T23, 1960, p.84.

[23]Tournier Chamoine Jules, le cardinal Lavigerie et son Action politique (1863-1892) librairie académique, Paris, 1913; p.370.

[24] عبد الجليل التميمي، "دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس"، مجلة الأصالة، العدد30، محرم-صفر، 1963هـ/جانفي-فيفري1976م، ص 60.

[25] Elie Georges, les kabylie du djurdjura et les pères Blanc , ed Louis de Soyes, Paris, 1923, p 45.

[26] محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904، دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب، الجزائر، ص ص 86-88.

[27] المرجع نفسه، ص 80.

[28] Annam Louis, Le grand Apôtre de l'Afrique au 19ème siècle, vie de son Eminence le cardinal Lavigerie, librairie général catholique et classique, Lyon, 1899, pp 114-115

[29] محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص ص 88-90.

[30] Charles Robert Ageron, histoires de l'Algérie contemporaine (1871-1954) , T2; Paris, 1979, p139.

[31] تقع ناحية آيت جناد، دائرة عزازقة، تأسست من خلال القرن التاسع الهجري على يدي المولى الصالح سيدي منصور، المجاهدين الذين رابطوا في هذه الناحية في سبيل الله، وقد كانت مقصدا لطلبة العلم والأدب وحفظ القرآن الكريم، علوم التشريع الإسلامي ومن مختلف جهات القطر، كانت تأوي حوالي 80 طالبا وأحيانا يصلون إلى 150 طالبا وهم يتمتعون بنظام داخلي ينظر:

Boulifa Si Amar, le Djudjura à travers l'histoire : depuis l'antiquité jusqu'à 1830, : organisation et indépendance des Zouaoua, Ed J. Bringau, Alger, 1925, p.p 1-2

[32] أحمد طالب الإبراهيمي من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962- 1972، ص ص 7- 8.

[33] يسلي مقران، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920- 1945، ط2، دار الأمل، ص ص 109- 150.

[34] البوعبدلي، "آثار التبشير في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده"، ملتقى تيزي وزو للتعرف على الفكر الإسلامي، ص 1354.

[35] غوستاف لوبون، روح السياسة، ترجمة: محمد عادل زعيتر، المطبعة المصرية، مصر، ص 180.

[36] Ait Mansour Amrouche, histoire de ma vie, ed La découverte, Paris, 1969, p. 152

[37] الطريقة الرحمانية: هي طريقة دينية صوفية، نشأت في الجزائر في أواخر القرن الثاني عشر هجري، الثامن عس ميلادي، على يد مؤسسها الشيخ عبد الرحمان الأزهري ومنه أخذت أسمها، وهي تمثل أحد المعالم الرئيسية البارزة وظاهرة دينية روحية اجتماعية وسياسة هامة في الجزائر المعاصرة، وهي طريقة تدعوا إلى احترام مبادئ الدين الإسلامي الحنيف والعمل على نشر الخير والفضيلة والأخلاق الحميدة، ينظر: عبد المنعم الحسني القاسمي، المؤلفات الصوفية في الجزائر، تق: عمار جيدل، دار الخليل للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2005، ص ص 106- 116

[38] Chatelain Y., les pères blancs en Algérie, la Kabylie et les oasis, vivier, 1896, p. 53

[39] محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر 1830- 1904م، دراسة تاريخية تحليلية منشورات دحلب، الجزائر، 1997م، ص 88.

[40] Tiquet J. E.P., Une expérience de petite colonisation indigène en Algérie, les colons Arabes-chrétiens du cardinal Lavigerie, imprimerie des pères blancs, maison carrée, Alger 1936, p. 169

[41] علما أن لافيجري دفن من مات من الأطفال لجزائريين بمقبرة اليسوعيين بابن عكنون، ينظر: M. jules, op, cit , p. 33.

وأيضا: محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر 1830- 1904م، المرجع السابق، ص ص 259- 260.

[42] Philipe Antony, Missions des pères blancs en Tunisie, en Algérie, Kabylie et Sahara, Ed Dillen, Paris, 1930, p.65.

[43] يسلي مقران، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920- 1945، المرجع السابق، ص 159.

[44] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983،ص 289.

[45] يسلي مقران، المرجع السابق، ص 234

[46] أرزقي فؤاد، اطلالة على منطقة القبائل، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 75.

[47] المهدي البو عبدلي، "تراجم بعض مشاهير علماء زواوة، القبائل الصغرى والكبرى"، الأصالة، العدد 14- 15، ماي، جوان، جويلية، أوت 1973، ص ص 265- 275.

[48] Mohamed brahim Salhi, étude D'une confrérie religieuse algérienne la Rahmania A LA FIN DU 19 eme Siecle et dans la première moitie du 20 éme siècle , thèse de doctorat(3eme cycle), sous la direction de Camille Lacoste du jardin , Paris, 1979, p.p 247- 262.

[49] محمد الشريف واشف، دور زوايا حوض الصومام خلال القرن 13هـ/ 19م، مذكرة التمهيدية للماجيستر، جامعة الجزائر، دائرة الدراسات التاريخية والآثار، السنة الجامعية 1980م- 1981م، ص ص 18- 30، ينظر أيضا: salhi,op.Cit. p 262.

[50] محمد السعيد الزواوي الجنادي ابن زكري، أوضح الدلائل على وجوب اصلاح الزوايا ببلاد والقبائل، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1903، ص 18.

[51] البصائر، العدد 172- 173، عددان في جريدة واحدة، 14 محرم 1931، ص 1، و 15 أكتوبر 1951، ص 3

[52] البصائر، العدد 65، السنة 2، 31 جانفي 1949، ص 1.

[53] محمد الشريف واشق، دور زوايا حوض الصومام خلال القرن 13ه/ 19م، المرجع السابق، ص ص 17- 18.

[54] ولد الشيخ محمد بن أبي القاسم البوجليلي بقرية بوجليل احدى قرى آت عباس(بجاية) 1829، من اسرة معدودة في الأشراف، التحف بزاوية اليلولي 1845، كانت قراءته مركزة على القراءات برواية قالون، ثم قرأ العشر، وتعلم النحو، ودام ذلك حوالي أربع سنوات بالإضافة إلى الفقه والتوحيد والنحو والصرف والحساب والفلك، انتخب للتدريس بها حوالي 30 سنة، عرف أيضا بالتبصر في علم النحو وهو علم عقلي، تمثل جهاده بالحفاظ على التراث وبث روح المقاومة، ينظر: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، الرجع السابق، مذكرة ماجستير ص ص 211- 212.

[55] الصادق دهاش، تراجم لمشاهير علماء الجزائر في القرن 19 م، مذكرة ماجيستير، معهد التاريخ، 1993، ص ص 121-122.

[56]محمد الهادي الحسني، "جوانب من شخصية الشيخ محمد أبي القاسم البوجليلي 1829- 1898"، جريدة العصر، عدد 19 نوفمبر 1981، ص ص 2-3

[57] ولد الشيخ محمد السعيد بن زكري الزواوي الجنادي سنة 1851 بالقبائل، وقد حفظ القرآن، لحق بأخيه الأكبر الذي كان مدرسا بزاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي الواقعة بقرب آيت اسماعيل في جبال جرجرة وهناك تنقل من زاوية إلى أخرى لإتمام دراسة ثم دخل العاصمة 1880 ودرس بزاوية سيدي محمد الشريف ثم عين مدرسا بالجامع الكبير ليصبح إماما فيما بعد بجامع سيدي رمضان وفي سنة 1895، انتخب استاذا للفقه وأصوله بالمدرسة الحكومية وتولى الاعتناء المالكي سنة 1908 وتوفي 1914، ينظر: محمد الشريف واشق، أصول الحركة الإصلاحية في الجزائر(1900- 1919م) مذكرة السنة الأولى ماجيستر، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 1981- 1982، ص ص 40- 41.

[58] ارزقي فؤاد، إطلالة على منطقة القبائل، المرجع السابق ص ص 78- 79.

[59] ولد بقرية تقريت نايت الحاج ببلدية أزفون دائرة عزازقة(القبائل الكبرى) عام 1857، نشأ وتعلم بالشام، حارب البدع والخرافات في كتاباته، اشتغل بالتعليم والوعظ والإرشاد، وعين اماما رسميا في جامع سيدي رمضان أين كان يشعر الناس بلاغته وعلمه، توفي في 2 جوان 1952م، ينظر: عبد القادر مولاي، أقطاب الاطلاع في منطقة القبائل 1331- 1375هـ/ 1912- 1956م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بوزريعة، 2006- 2007، ص 107.

[60] أحمد سحون، "الذكرى الأولى لوفاة الشيخ ابي يعلى الزواوي"، البصائر عدد 233، 1 سبتمبر 1938، م، ص 8، ينظر أيضا: محمد الصالح صديق، "الشيخ السعيد ابو يعلى الزواوي"، البصائر، عدد 130، 16 جويلية 1981، ص 3.

الاستزادة حول علماء وفقهاء منطقة القبائل، ينظر: أحمد ساحي، أعلام من زواوة(ايقواون)، طباعة الثورة الأفريقية الجزائر، أيضا: محمد الحسين فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.